الدكتور ننسن والرحلة القطبية

ذكرنا في الجزء الماضي ان جريدة الدايلي كرونكل الانكليزية دفعت الى الدكتور ننسن الرحالة الشهير اربعة آلاف جنيه على ثلاث رسائل مختصرة وصف بها رحلته في الاتجاه القطبي . فتشوّف كثيرون من القراء الى مطالعة هذه الرسائل والاطلاع على ما فيها من الغرائب فرأينا ان نوافيهم بترجمتها وابقينا الكلام بلسان الدكتور ننسن مع ايجازنا فيه واضفنا اليه صوراً تتم بها الفائدة . قال : لم اكد انظر في الاسلوب الذي يجري عليه رواد الاتجاه القطبي حتى تبيّن لي انهُ ليس افضل الاساليب لمرسلة المتجرد. وكان المعروف ان الجليد الذي يغطي البحر حول القطبة الشمالية يتقدم من الشمال الى الجنوب رويداً رويداً فيمنع سير السفن او يكسرها واذا سار الناس عليه بالزالق بقوا في مكانهم او رجعوا الى الوراء لان سير الجليد جنوباً يساوي سير الزالق عليه شمالاً او يزيد عليه . اما انا فانتبهت الى امر لم ينتبه اليه غيري وهو ان بعض الاشياء مما كان في السفينة "جنيت" التي غرقت في الشمال الشرقي من جزائر سيبيريا الجديدة وُجدت على الشاطىء الجنوبي الغربي من جزيرة غرينلندا فقلت في نفسي ان هذه الاشياء لم تبلغ شاطئ غرينلندا الا لانها جرت من نفسها على سطح الجليد وسرت على القطبة الشمالية في طريقها وعليه فاذا التصقت سفينة بحر الجليد الذي يغطي الجهات الشمالية الشرقية وسلّمت نفسها لرحمته فهو يجري بها من نفسه كما جرى بتلك الاشياء من سيبيريا الجديدة الى غرينلندا . وجاهرت برأيي هذا في الجمعية الجغرافية الملكية بخطبة القيتها فيها في نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٩٢ بانيا كلامي على الامور الثلاثة الآتية وهي

(١) وجود قطع من الخشب على شاطىء غرينلندا واردة من سيبيريا

(٢) وجود بعض عصي الاسكيمو على شاطىء غرينلندا وهي مما يستعمله الاسكيمو للصيد في بلاد الاسكا

(٣) عظم جبال الجليد التي تجري عند شاطىء غرينلندا الشرقي فان اجزاءها تدل على انها جرت مسافة طويلة في بحر مغطى بالجليد (كما ترى في الشكل الاول على الصفحة التالية وهو صورة قطعة كبيرة من الجليد جارية في البحر كالجبل الكبير)

ووجدت على الجليد الذي يجري في البحر شرقي غرينلندا غباراً ثبت بالبحث انه

ميكروسكوبيًّا انهُ من غبار سيبيريا وهٰذا يدلُّ دلالة واضحة على انهُ جرى من نفسهِ من شواطىء سيبيريا الى شرقي غرينلندا. وقلت في ختام تلك الخطبة انهُ يتبين من هذهِ الادلة ان في الاقطار القطبيَّة تيارًا يجري من البحر شمالي سيبيريا وبوغاز بيرنغ الى البحر الذي بين سبتسبرغن وغرينلندا مارًّا بارض فرنز جوزف ولذلك فمن شاء دخول تلك الاقطار المجهولة فعليهِ ان يسلم نفسهُ للجليد بقرب جزائر سيبيريا الجديدة فيجري الجليد بهِ عفوًا في تلك الاقطار غير سائل اجرًا ولا شكورًا

الشكل الاول

(تظهر هذهِ الاماكن للقارىء من النظر الى الشكل الثاني على الصفحة التالية وهو خريطة القطبة الشماليَّة والبحار والجزائر والبلدان الَّتي حولها إلى حد الدائرة الشماليَّة . وقد رسمنا فيهِ طريق نانسن في ذهابهِ وايابهِ كما يجيء)

ولم اقل حينئذٍ ان هٰذا السبيل يوصل الى القطبة الشماليَّة نفسها بل انهُ يوصل الى انحائها المجهولة وهي الغرض المقصود بالذات

واتضح لي حينئذٍ انهُ يمكننا ان ننال هٰذا الغرض باسلوب من اسلوبين الاول ببناء سفينة متينة جدًّا تحتمل ضغط الجليد فنذهب بها الى حيث الجليد يجري من نفسهِ كما تقدم ونقيم فيها ونسلمها الى رحمتهِ فيجري بها رويدًا رويدًا الى ان يمرَّ بالاقطار الشماليَّة المجهولة . والاسلوب الثاني ان نسير في قوارب صغيرة الى حيث الجليد يجري من نفسهِ وننصب خيامنا عليهِ ونقيم فيها وهو يجري بنا وبها فيعبر الاقطار المجهولة . واخترت الاسلوب الاول ولكنني اخذت الاهبة للاسلوب الثاني ايضًا اذا تغلَّب ضغط الجليد على سفينتنا فكسَّرها . وبذلت الجهد حتى تكون السفينة ممَّا يحتمل كلَّ ضغط مهما كان شديدًا واهتديت الى رجل نروجي من صانعي السفن بنى لي سفينة لم يبنَ امتن منها قطُّ بالنسبة الى جرمها وهي سفينة الفرام الَّتي دخلت بي

الاقطار القطبية وعادت منها سالمة (وهنا اطنب في وصف هذه السفينة وكمال جهازاتها وقال انهُ لولا اتقانها ما بلغ تلك الاقطار . واسهب في اعتراض الناس عليهِ ومنهم الجنرال غريلي الرحالة الاميركي الشهير . ثم قال)

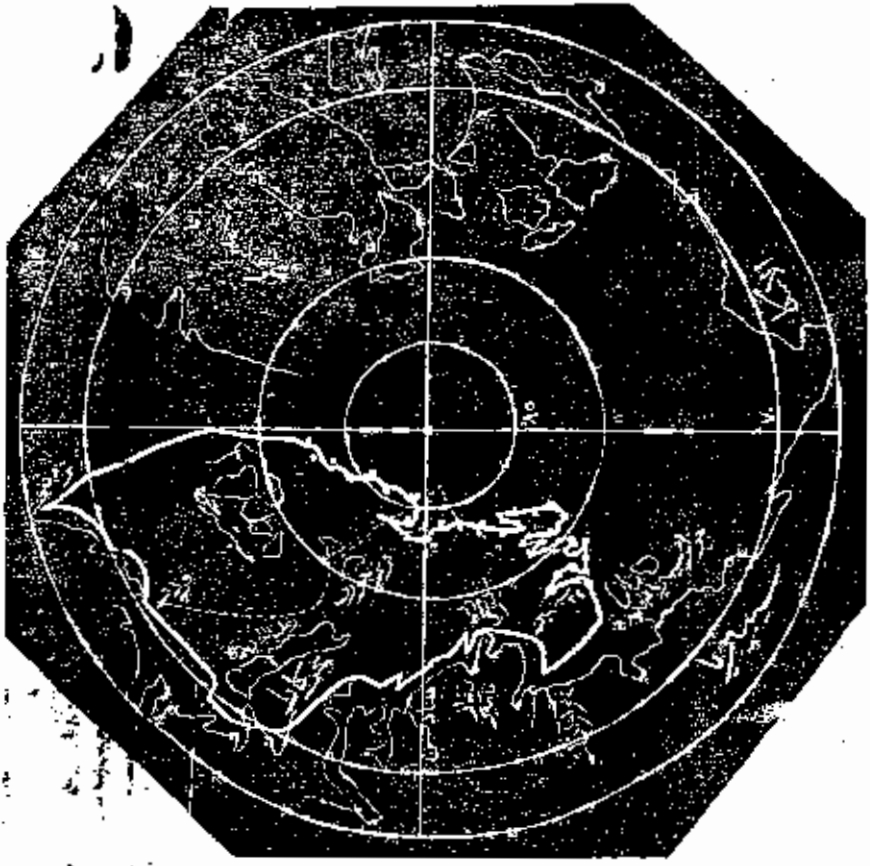

الشكل الثاني

الا ان ذلك كلهُ لم يثنِ عزمي . وكان مجلس النواب النروجي قد وهبني المال الذي طلبتهُ لهذه الرحلة لكن هذا المال نقد في بناء السفينة فتحنى مبلغاً آخر من المال غرَّ طيب نفس

وفي الرابع والعشرين من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٣ صارت السفينة على اهبة السفر وفي الحادي والعشرين من شهر يوليو (تموز) بلغنا مرفأ تردو وهو اقصى مراقي نروج الشمالية (كما ترى في الشكل الثاني) فقمنا منهُ وسرنا شرقاً واخذنا في طريقنا ٣٤ كلباً

من كلاب المزالق السيبيرية وظللنا نسير الى ان دخلنا بحرًا كبيرًا الكثير الخاطر فلقيناهُ مغطًّى بالجليد ولكن لم يتعذَّر علينا وجود طريق فيهِ بجانب الشاطىء فسرنا فيهِ الى ان ضيَّق الجليد علينا الخناق ومنعنا عن السير. وكان ذلك في السادس من شهر اغسطس (آب) فنزلنا على الشاطىء وقضينا الوقت في البحث عن نباتات البلاد و بنية ارضها وضافنا هناك اثنان من السكان وهما آخر من شاهدناهُ من نوع الانسان

وفي الثاني عشر من اغسطس انفتح الجليد في طريقنا فسرنا الهوينا وكانت العواصف تهبُّ في وجوهنا من الشمال الشرقي فتعيق سيرنا ودامت على ذلك اياماً واسابيع الى ان بلغنا مينا دكسن وكنا عازمين ان نبقي رسائلنا هناك لكي يعود بها الرحالة وغنس الانكليزي الى اهلنا لكن الفرصة كانت اثمن من ان نضيعها بالنزول إلى البر فواصلنا السير واكتشفنا جزائر كثيرة امام شاطىء سيبيريا لم تكن معروفة ورأينا ذلك الشاطىء يختلف عمَّا يرسم في الخرائط عادةً وهو كثير الاجوان والخلجان والصخور والجزائر . ظاهرهُ يدلُّ على ان انهر الجليد تجري فيهِ وان بلاد سيبيريا كانت مغطاة بحر من الجليد منذ عهد غير بعيد

وفي العشرين من اغسطس نزلنا على بعض الجزائر واصطدنا دببين و بعض الايائل ولما اردنا استئناف المسير عصفت الانواء فصدَّتنا اربعة ايام وحاولنا حينئذٍ ان نسير شمالاً فصدتنا الجزائر والجليد المتراكم فعدنا ادراجنا وعزمنا ان نشتي في تلك الانحاء لكن العواصف كسَّرت الجليد وفتحت لنا طريقًا فيهِ فعاودنا السير في السادس من سبتمبر (ايلول) وكنا حينئذٍ في برغاز تامير وهو أضيق مما يرسم في الخرائط . وسرنا نحو راس شليوسكن فبلغناهُ في ٧ سبتمبر وحينئذٍ ضيَّق علينا الجليد الخناق فوقفت السفينة ونزلتُ إلى البر فرأيتهُ سهولاً فسيحة فيها كثير من حجارة الغرانيت الكبيرة مما جرت انهر الجليد به في غابر الزمان ثم طرحتهُ في طريقها حينما ذابت

وفي التاسع من سبتمبر انحلَّ قيد الجليد فسرنا شمالاً ولكننا لم نبعد كثيرًا حتى اعترضتنا جبال الجليد فصدتنا عن السير . وفي الخامس عشر منهُ وصلنا الى امام نهر اولنك فوجدنا ستة وعشرين كلبًا من كلاب المزالق في انتظارنا وكان البارون تول قد اعدها لنا لان كلاب شرقي سيبيريا اقدر على الجري واحتمال المشاق من كلاب غربيها. ولم أجسر ان ادنو من الشاطىء لان البحر رفارق فخفت ان تجنح السفينة بنا فنضطر ان نقيم السنة كلها هنالك فسرنا سيرًا حثيثًا حتى مررنا امام جزائر سيبيريا الجديدة

وكان البارون تول قد اعدَّ لنا المعدات اللازمة في تلك الجزائر حتى اذا اضطررنا ان نترك

السفينة نجد من المؤونة ووسائط السفر ما يسهل علينا العودة الى بلادنا لكنني لم انزل الى البر لاراها و بقينا سائرين الى العشرين من سبتمبر وحينئذٍ قام الجليد في وجهنا كالسور المنيع

وفي الثاني والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٩٢ لصقت سفينتنا بجبل من الجليد والتحمت به وكنا حينئذٍ عند الدرجة الثامنة والسبعين والدقيقة الخمسين من العرض الشمالي والدرجة ١٣٣ والدقيقة ٣٧ من الطول الشرقي وللحال احاط بنا الجليد من كل ناحية فسلمنا نفسنا لهُ يجري بنا شمالاً في اول الامر ثم عصفت الرياح الشمالية فردتنا جنوباً حتى خلنا ان نهبط كل مساعينا وظالنا على مثل ذلك الى الثامن من نوفمبر وحينئذٍ عاد الجليد يجري بالسفينة الى الجهة الشمالية الغربيَّة كما قدَّرت في اول هذه الرحلة واشتدَّ ضغطهُ على السفينة في اوائل اكتوبر ودام فصل الشتاء كلهُ وكان يزيد وينقص مرتين كل يوم بحسب المد والجزر ولذلك اشتد فعلهُ ايام مد الربيع وكنا نسمع لوقوعهِ على السفينة اصواتاً قاصفة ترتعد لها فرائصنا ولولا متانتها الفائقة الحد لسحقها سحقاً ولكنهُ لم يؤثر فيها اقل تأثير . وكثيراً ما كان صوت صدمهِ لها يشتدُّ و يتوالى حتى يصم آذاننا و يمنعنا من سماع بعضنا بعضاً . ثم الفناهُ ولم نعد نبالي بهِ اذ ثبت لنا اننا في حصن حصين وحرز حريز . وكانت السفينة فوق ذلك محكمة الاوصال فلم نشعر فيها بالبرد الشديد

(ترى في الشكل الثالث على الصفحة التالية صورة سفينة يحيط بها الجليد وهي واقفة لا تستطيع حراكاً)

وهبطت الحرارة بغتةً وظلَّ البرد شديداً كل فصل الشتاء والزمهرير حتى ان الزيبق جمد في الثرمومتر اسابيع كثيرة . و بلغ البرد الدرجة الثالثة والستين تحت الصفر لكن ثيابنا كانت سميكة مغطاة بنسيج لا تخرقهُ الرياح فلم نكن نشعر بالبرد ولو مشينا في الهواء ولم نضطر ان نشعل النار في غرف السفينة حتى شهر يناير (ك ٢)

كانت صحة رجالنا على ما يرام واجمع رأينا على ان الاصقاع القطبيَّة موافقة للصحة لمن كان في سفينة مثل سفينتنا . وكان في السفينة دولاب تديرهُ الرياح فتتحول قوة حركتها الى كهربائيَّة تنير ليلنا الطويل فاذا هبجت الريح كنا نستضيء بالزيت

مرَّت الايام ونحن على ما يرام من الالفة والوئام ولكلٍّ منَّا عمل يعمل بهِ خوفاً من السآمة والضجر . وكان عندنا كتب كثيرة للمطالعة وآلات موسيقية . والذين كانوا يهتمون بالمسائل العلميَّة منَّا كان شغلهم اكثر من طاقتهم في المراقبات الجوية والمغنطيسيَّة والفلكية والنباتية والحيوانية والفسيولوجيَّة والطبيَّة وما اشبه

ن قامة ثم
يزيد ن من ان

الشكل الثالث

البحر رتارق في الاصقاع القطبية . ولم نجد في ما كنا نستخرجه من قاع البحر شيئاً من المواد

الحيوانية دلالة على ان الاحياء لا تقيم في تلك الاعماق . والماء تحت الجليد ليس شديد البرودة بل هو حارٌّ نوعاً وملوحتهُ شديدة ولعلهُ جارٍ الى هناك مع تيار الخليج الآتي من خليج المكسيك فان حرارتهُ تبلغ درجة فوق درجة الجليد ولكن تحت هذا الماء الحار ماء ابرد منهُ وهو مع ذلك احرُّ مما يُظَنُّ

ولم يكن جريان الجليد بالسفينة منتظماً في جهتهِ ولا في سرعتهِ وكثيراً ما كنا نعود ادراجنا ثم نتقدَّم ثانيةً كما يظهر من الخريطة السابقة ولكن بمجمل سيرنا كان الى الغرب الشمالي في الشتاء والربيع ثم كنا نقف مكاننا صيفاً لان الرياح الشمالية كانت تصدُّنا عن السير

وفي الثالث عشر من شهر يونيو بلغنا الدرجة الحادية والثمانين والدقيقة الثانية والخمسين من العرض ثم صدَّتنا الرياح الشمالية الغربية واعادتنا على اعقابنا وبقينا ذلك الصيف كلهُ في تقهقر حتى الحادي والعشرين من اكتوبر فبلغنا الدرجة الثانية والثمانين من العرض ولم تنتهِ سنة ١٨٩٤ حتى بلغنا الدرجة الثالثة والثمانين والدقيقة الرابعة والعشرين

وفي الرابع من يناير (ك ٢) سنة ١٨٩٥ بلغ ضغط الجليد على سفينتنا مبلغاً لم يبلغهُ قبلاً فان سمكهُ صار حينئذٍ ثلاثين قدماً فشدَّ عليها شدًّا عنيفاً وكانت قطعهُ ترد تباعاً و يلطم بعضها بعضاً فتراكمت حول السفينة حتى كادت تغطيها وانقطع املنا من نجاتها لاننا قلنا إما ان تتكسر واما ان يطرحها الجليد فنزلنا منها وانزلنا كل ما نحتاج اليهِ من الاطعمة والآنية والوقود والخيام والمزالق ونصبنا خيامنا على الجليد واقمنا فيها . لكن السفينة قويت على ذلك الضغط الشديد وتقلَّصت من الجليد المحيط بها وعلت فوقهُ ولم يكسر لوح من الواحها ولا ضلع من اضلاعها فعدنا اليها واخذت تجري بنا في الجهة الشمالية الشرقية

وتبيَّن لي حينئذٍ انها تخلص من نفسها الى ما يمكنها البلوغ اليهِ شمالي ارض فرانز جوزف (جزائر في اقصى الشمال) . ثم تبلغ البحر شمالي سبتسبرجن في اوائل الصيف المقبل (انظر الخريطة على الصفحة السابعة) واردت ان اعرف احوال الاماكن التي شمالي طريقنا ولا يكون ذلك الاَّ بواسطة المزالق ومعلوم انهُ اذا ابعد احد منَّا عن السفينة تعذَّر عليهِ ان يجدها ثانية في تلك الاصقاع فلم يسلم ضميري ان اكلف احداً بهذه المهمة فاخذتها على نفسي واخترت من رفاقي واحداً فقط وهو الملازم جنسن واخبرتهُ بما عزمت عليهِ فقبل ان يذهب معي عن طيب نفس فسلمت قيادة السفينة لرجل من رجالها اعتقدُ كفاءتهُ واثقاً انهُ يعود بها ومن فيها سالمين . ومضى فصل الشتاء وانا اتهيأ لمغادرة السفينة وصنعت مزالق متينة تجرها الكلاب ولو كان الجليد كثير الحزون و بنيت قاربين طول كلٍّ منهما ١٢ قدماً وهو

يسع رجلاً وما يلزم له من المؤونة اربعة اشهر صنعتهما من القنا الهندي وغطيتها بالمشمع وبلغ وزن كلٍّ منهما ٤٠ ليبرة فقط . وكانت المؤونة لحماً وسمكاً مقددين وخبزاً وزبدة

وكان غرضي ان اغادر السفينة حالما يشرق فجر النهار القطبي في السادس والعشرين من فبراير (ش) نزلت منها بست مزالق و ٢٨ كلباً والقاربين والمؤونة اللازمة لي ولجنسن وللكلاب وسرنا اربعة ايام متوالية فوجدنا ان كلابنا لا تستطيع جر ما معنا لان سطح الجليد غير مستوٍ بل كثير الحزون فعزمنا على العودة إلى السفينة لتخفيف احمالنا وفيما نحن عائدون اشرقت الشمس فوق الافق وكان ذلك في الثالث من شهر مارس (اذار) فاذا نحن بابدع منظر شاهدناهُ منذ دخولنا الاصقاع القطبيَّة بعد ليلها الطويل ووجدنا بالرصد اننا بلغنا الدرجة الرابعة والثمانين والدقيقة الرابعة من العرض الشمالي

فلما وصلنا الى السفينة خففنا احمالنا فلم نبقِ منها الاَّ زادًا يكفينا مئة يوم ويكفي كلابنا ثلاثين يومًا وقمنا في الرابع عشر من شهر مارس (اذار) وودعنا رفاقنا واخذنا معنا ثلاثة مزالق فقط والقاربين والكلاب الثانية والعشرين . وفي الثاني والعشرين من مارس بلغنا الدرجة الخامسة والثمانين والدقيقة العاشرة من العرض . وكنا كلما مرَّ يوم يسهل سيرنا بخفة زادنا ولكن كانت العوائق كثيرة من الانواء والزوابع وقطع الجليد المتراكمة في طريقنا فكنا كلما وصلنا إلى حاجز منها نضطر ان نحمل الزالق على اكتافنا ونقطع الحاجز بها ولا نتخلص من عائق حتى يصادفنا آخر وكأنَّ قطع الجليد جيوش من الكماة في حرب وصدام تجتمع وتفترق حولنا ويلتئم بعضها بعضاً باصوات مزعجة

وفي السابع من ابريل (نيسان) بلغنا الدرجة السادسة والثمانين والدقيقة الرابعة عشرة من العرض الشمالي ولكن سطح الجليد كان يزداد حزوناً حتى يئست من مواصلة السير عليه فخرجت اسعى وحدي بعد ان لبست خفيَّ الطويلين وصعدت على اعلى مرتفع وجدتهُ واستطلعت ما حولي من البلاد فلم ار ارضاً ولا ما يدلُّ على ارض بل ظهر لي ان الرياح تسوق الجليد كيفما شاءت فلا يبقهُ شيءٌ . وارجح انهُ لا توجد ارض بقرب القطبة الشماليَّة من هذه الجهة ولو فرضنا وجودها من الجهة الأُخر

وبقيت حرارة الهواء على الدرجة ٤٠ تحت الصفر ثلاثة اسابيع متوالية وارتفعت في غرة ابريل الى الدرجة الثامنة تحت الصفر ثم عادت فهبطت الى الدرجة السادسة والثلاثين وكنا قد تركنا ثيابنا الدافئة (وهي من فراء الدئاب) في السفينة تخفيفاً للحمل فقرصنا البرد وكان عرقنا يصير جليدًا في ثيابنا كل صباح فنيبس علينا وتصير كدروع الحديد حتى اذا دخلنا

الكيس الذي نام فيه نبق ساعةً قبلما يذوب الجليد من ثيابنا وتقضي نصف ساعة اخرى قبلما تدب فينا الحرارة . وحالما نخرج من الكيس في الصباح تجلد ثيابنا ثانيةً . وبلغت الحرارة في شهر مارس الدرجة التاسعة والاربعين تحت الصفر

وفي الثامن من ابريل بدأنا من التقدم نحو القطبة الشماليَّة فدرنا نحو جزائر فرنز جوزف (وقد لقينا في عودتهما من المخاطر ما يشيب الولدان وسيأتي تفصيل ذلك في الجزء التالي)

(شرح الشكل الثاني — الخط الابيض القوس سير السفينة في البحر ذهابًا وايابًا - والخط الابيض المتحنى وشمالي نقط بيضاء سير السفينة محمولة بالجليد . والخط المؤلف من نقط بعضها سير نانسن ورفيقه جنسن وحدهما)

هزة الحائط

اي التشنجات العصبيَّة التي تصيب الاطفال

لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى المبرة

هذه الحالة التشنجيَّة ليست مرضًا بل هي من العلامات الظاهرة الدالة على تغير طرأ على بعض الاعضاء وهي تصيب الاطفال على الاكثر ويقال ان سبب ذلك سرعة تهيج الدماغ في الاطفال وشدة فعله المنعكس فتطرأ عليهم لاقل سبب حتى قيل ان مجرد هبوب الريح على وجه الطفل قد يكون كافيًا لحدوثها . وهي ليست سوى تشنج في العضلات غير خاضع للارادة

وتختلف مدتها وقوتها باختلاف سببها ومركزه فقد تنتهي بعد مضي بضع دقائق وقد تستمر ساعات عديدة ثم تأخذ تزول تدريجًا او دفعة واحدة . ويعقبها ضعف شديد كما من تعب منهك ويمضي وقت قبل ان يسترجع الطفل قوته وصحته الاصليَّة . واذا كانت النوب شديدة فقد تترك الاعضاء التي تشنجت عضلاتها متألمة المًا شديدًا . وذكر بعضهم حوادث حصل فيها انقطاع بعض الاوتار او خلع بعض المفاصل او كسر بعض العظام

وقد تكون التشنجات مستمرة ليحصل عنها تيبس عام او منقطعة يتخللها فترات فتصبح نظير تشنجات من اصابت اليد نارٌ فتبعد عنها بغتة تخلصًا من الالم

وهيئة الطفل عند حصول الهزة مخيفة تكشف عن ألم شديد فترعب الوالدين وربما اوقعتهم في حيرة او يأس . وعلاماتها جليَّة فتظهر اولاً على عيني الطفل علامات الرعب والضجر